المهـــدي المنتظر

مصطفى حيدر أبو تراب

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

أبوتراب،

حديقة الأفراح، الرياض، ١٤٢٩هـ

ص ؛ ١٧×٢٤سم

ردمك: ٨

١- ٢ –ـ أ .العنوان

ديوي /١٤٢٩

رقم الإيداع : ١٤٢٩/٣٠٦

ردمك:

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

إهـداء

إلى كل من ينتظر الإمام الغائب.

إلى كل شيعي يحب دين الإسلام ويغار عليه.

إلى كل شيعي يحب أن يتبع الحق الذي جاء به رسول الله ص من عند ربه.

إلى كل شيعي ورث مذهبه ولم يدقق فيه، بل تبناه لأنه دين الآباء والأجداد فصار بالضرورة عنده صحيحًا.

إلى كل عاقل من بني البشر.

أهدي كتابي هذا، وأسأل الله أن ينفع به..

إنه ولي ذلك والقادر عليه.

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرًا.

أما بعد:

فالحكمة ضالة المؤمن، فأنى وجدها فهو أولى بها، وإن دين الله واحد، والحق واحد، وربنا واحد سبحانه وتعالى عما يشركون.

والذي دعاني إلى كتابة هذه الكلمات القليلة التي أرجو الله أن ينفعني وإخواني المسلمين بها هو أنني كنت على عقيدة من العقائد، ولدت وكبرت عليها إلى أن بلغت مبلغ الرجال، فتفحصتها جيدًا وقارنتها بما وُجد في السنة الصحيحة، فوجدتها تحتاج إلى تصحيح، ولأنني آليت على نفسي من أول يوم في البحث بأن أكون مع الحق حيثما كان لم أستح أن أقول للحق: إنه حق وإن كان مع من يخالفونني، مع أنني نشأت وكبرت وأنا على خلافهم.

ولم أكتب ذلك ابتغاءً لسمعة أو شهرة، ولكنني وجدت إخوانًا لي من بني قومي قد استغلوا ممن يريدون أن يكرسوا العقائد الفاسدة في عقولهم لكي يدوم لهم ما يجنونه من أموالهم، وتدوم لهم مكانتهم

المهمة والكبيرة عندهم، فيتمتعوا ببهارج الحياة على حساب البسطاء، ويتمددوا وتكبر أرصدتهم بالثروات من جيوب الفقراء.

وإني أعلم أن أشد من سيخالف هذه الكلمات هم أولئك المستفيدون من الوضع الحالي للشيعة؛ لأن الحقيقة تكشفهم، فإذا انسحب البساط من تحتهم وقلّ أتباعهم سيكون لزامًا عليهم أن يكدحوا ليحصلوا على المال بدلاً من استلامه والإثراء به وهم جاثمون بين كتب الخرافات ينكحون أجمل النساء ويركبون أفخم السيارات ويملكون القصور في أجمل أصقاع الأرض، ثم إذا ماتوا أورثوا تلك الثروات لأبنائهم الذين قد يكون بعضهم على غير دين الله من ملل الكفر والإلحاد.

ومن سيقرأ هذه السطور ثم يذهب إلى المرجع كي يعرض عليه ما قرأ ويستخدم عقل المرجع أو وكيل المرجع أو المعمم ليفكر بالنيابة عنه فإني أنصحه بعدم إكمال القراءة، وترك هذا الكتاب جانبًا لعل امرءًا آخر حر التفكير ينتفع به.

❖ ❖ ❖

الانشطار في الغائب المنتظر

لقد اكتشفت أن أعداد الذين سماهم أتباعهم من الشيعة بـ(المهدي المنتظر القائم والغائب) كثيرون، فسألت نفسي:

أي مهدي أنتظر؟!

وكم مهديًا أنتظر؟!

وكم منهم ظهر أو سيظهر؟!

وهل ظهر أحد ممن غابوا؟!

يا مُنتظِر المهدي الغائب! كم من مهديٍ غاب ولم يعد، فهل تظن أن مهديك يختلف عنهم؟!

إليك قصتي:

منذ نعومة أظفاري وأنا أسمع من أهلي وممن يكبرني سنًا أن الإمام المهدي – وهو الإمام الثاني عشر عندنا نحن الشيعة الاثني عشرية – قد ولد من صلب الإمام الحسن العسكري × ، وغاب منذ ذلك الوقت، وسيأتي يوم من الأيام حين يأذن له الله، وسيخرج ليملأ الأرض قسطًا وعدلاً بعدما ملئت ظلمًا وجورًا.

وكنت منذ أن فهمت هذه المعاني شغوفًا بالإمام المهدي - عجل الله فرجه - وتمنيت من كل قلبي، ودعوت الله بكل إخلاص أن يكون جيلي وزمني هو زمن الإمام المهدي؛ لكي أكون من أشد أنصاره إخلاصًا، وأنال شرف الشهادة بين يديه في الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

ترعرعت وكلي شوق للقائه، وقلّما صليت صلاة لا أدعو فيها الله بأن يكرمني بشرف لقائه والجهاد معه، وتمضي الأيام وتمضي السنون وأنا أحمل هذه الأمنية بين أضلعي، ويجذبني بشدّة كل ما يتعلق بأمره وأمر ظهوره، وكان أشد ما يجذبني حديث الخطباء الحسينيين حين يتناولون موضوعًا يتكلم عن ظهوره وزمنه، وكيف اختفى وغاب، وكيف سنتعرف عليه حين يخرج في أمور أخرى تخصه، وكثيرًا ما كنت أجالس بعض هؤلاء الخطباء وبعض طلبة الحوزات العلمية لأناقشهم في بعض تساؤلاتي هذه مع عدم معرفتي ببعض حيثيات الفلسفة المهدوية عند الطائفة الاثني عشرية.

شيخ جامعنا الصغير:

في إحدى المرات حين كنت أتناول أطراف الحديث عن الإمام المهدي مع شيخ يصلي الجماعة في مسجد قريتنا الجامع، وبعد أن

أتعبته بكثرة الأسئلة التي طرحتها عليه للنقاش حول هذا الموضوع، التفت إلي مداعبًا وقال: يا مصطفى! أراك كلما رأيت شيخًا أو عالمًا أو طالب علم رحت توجه له القذائف وتتعبه بالأسئلة، وكل أسئلتك هي عن الحجة عجل الله فرجه الشريف؟!

فقلت: والله – يا شيخ – أني أحيانًا لا أنام الليل إلا وآخر فكرة في بالي هي فكرة ظهوره الشريف، فأنا شديد التعلق بشخصيته الشريفة، ولا يمكنني أن أفوت أي فرصة لأكون من أول من يلاقيه حين يظهر وأنال هذا الفوز العظيم، خاصة أنني قرأت بعض المقالات لشيوخ في منتديات الانترنت تقول بقرب ظهوره، وقد نكون من معاصريه × .

فقال: إذًا: عليك بالقراءة عنه وعن كل ما يتعلق بسيرته، وإذا كنت متعلقًا إلى هذه الدرجة بمقدم الإمام – أرواحنا لمقدمه الفدا – فلا يصح أن تكتفي بمجرد السؤال عن شأنه الشريف وتكتفي بما يقوله الخطباء وطلبة العلم فقط.

فقلت: – يا شيخ – إني أريد ذلك، ولكن مشاغل الحياة الكثيرة تحجبني عن هذا الشيء. قال: إذًا فدعواك بالتعلق الشديد بشخصه

الشريف لا تستند إلى دليل، فأنت تدعي التعلق به ولا تكلف نفسك بالبحث! ومثلك يجب أن يعرف كل صغيرة وكبيرة عنه عجل الله تعالى فرجه الشريف.

قلت: صدقت، وأنا أعاهدك وأعاهد الله على أن أبدأ من الآن، فانصحني - يا شيخ - بالكتب التي يجب أن أقرأها. فنصحني بقراءة كتب سماها لي في تلك الجلسة، فكتبت أسماءها في قصاصة ورق ووعدني بأن يأتيني بأسماء كتب أخرى في هذا الباب، ووعدني بإعارتي شيئًا منها من مكتبته، فلفت نظري من بينها كتابًا اسمه: (فرق الشيعة) لمؤلفه أبي محمد الحسن بن موسى النوبختي، وهو من علماء الشيعة الإمامية الاثني عشرية ومؤرخيهم، وهو من العلماء الأعلام الذين عاشوا في القرن الثالث الهجري.

قال فيه النجاشي: الحسن بن موسى أبو محمد النوبختي: شيخنا المتكلم، المبرز على نظرائه في زمانه قبل الثلاثمائة وبعدها، له كتاب (فرق الشيعة).

وقال الطوسي: الحسن بن موسى النوبختي ابن أخت أبي سهل ابن نوبخت، يكنى أبا محمد، متكلم فيلسوف، وكان يجتمع إليه

جماعة من نقلة كتب الفلسفة، مثل أبي عثمان الدمشقي وإسحاق وثابت وغيرهم، وكان إماميًا حسن الاعتقاد، نسخ بخطه شيئًا كثيرًا، وله مصنفات كثيرة في الكلام وفي نقض الفلسفة وغيرهما، منها: كتاب الآراء والديانات، لم يتمه، وكتاب الرد على أصحاب التناسخ والغلاة، كتاب التوحيد وحدوث العالم، كتاب نقض كتاب أبي عيسى في الغريب المشرقي، كتاب اختصار الكون والفساد لأرسطو طاليس، كتاب الاحتجاج لعمر بن عباد ونصرة مذهبه، كتاب الجامع في الإمامة، كتاب الإنسان.

وقال: في ترجمة أبي الأحوص المصري: لقيه الحسن بن موسى النوبختي، وأخذ عنه، واجتمع معه في الحائر على ساكنه السلام، وكان وَرَدَ للزيارة. وذكره في رجاله فيمن لم يرو عنهم ‡ قائلا: الحسن بن موسى النوبختي ابن أخت أبي سهل، أبو محمد، متكلم ثقة.

وقد قدم السيد هبة الدين الشهرستاني لطبعة استانبول بترجمة ضافية له، مقتبسًا من كتابه (النوبختية) في تراجم آل نوبخت، وطبعت في سائر طبعات الكتاب.

وترجم له الأستاذ إقبال بتفصيل في كتابه (خاندان نوبختى) بالفارسية، وذكر أنَّ من نقل عنه:

١ - (**الفصول المختارة**)، وهو اختيار الشريف المرتضى لبعض فصول كتاب (العيون والمحاسن) لأستاذه الشيخ المفيد[١٦]، فقد جاء فيه عند ذكر الفرق الشيعية بعد وفاة الإمام الحادي عشر الحسن بن علي العسكري (×) ما نصه: افترق أصحابه بعده - على ما حكاه أبو محمد الحسن بن موسى ا - أربع عشرة فرقة.

ولو كانت الجملة المعترضة أصلية في نسخ الفصول المختارة - حيث إنّا لم نقف إلا على نسخة مخطوطة حديثًا، وهي أصل المطبوع - فهي إحدى المؤيدات لعدم صحة نسبة فرق الشيعة إلى النوبختي، للاختلاف الشاسع بين ما نقله المفيد عنه، وبين ما هو في فرق الشيعة المطبوع من حيث الكمية، ومن حيث الترتيب لتعديد الفرق، كما سيأتي بيانه.

٢- (**المغني**) للقاضي عبد الجبار، فقد جاء في فصل فرق الإمامية قوله: وذكر الحسن بن موسى في بيان قول الإسماعيلية والقرامطة.

وجاء في بيان فرق الزيدية قوله: حكي عن الحسن بن موسى[1].

وعند قراءتي لهذا الكتاب هالني عدد النظريات التي قالت بغيبة مهديِّين – جمع مهدي – كثر غير إمامنا ومهدينا الغائب الثاني عشر الذي ننتظر ظهوره، وأثار عندي هذا الكم الهائل من المهدِيِّين الذين غابوا ولم يظهروا إلى الآن تساؤلاً كبيرًا ومحيرًا لم أجد له حلاً ولا إجابة، فإذا كان كل هؤلاء المهديين غابوا ولم يعودوا، فما الذي يضمن لي أن مهدينا سيعود؟!

فلقد كنت أظن أن مذهبي هو الوحيد الذي عنده هذه النظرية، واتضح أن مذهبي هو من مقلدي المذاهب السابقة، واتضح لي – أيضًا – أن كمًا هائلاً من الغائبين لم يظهر منهم أحد إلى الساعة، ولا أظن أن أحدًا منهم سيظهر، فبعضهم مات أو قتل وتبنى أنصاره غيبته، وافترضوا أنه سيعود، وافترضوا أنه هو القائم المهدي الذي سيعود ليملأ الأرض قسطًا وعدلاً بعدما ملئت ظلمًا وجورًا.

---

(١) انظر تفصيل ذلك في: تهذيب المقال في تنقيح كتاب رجال النجاشي، لمحمد على الأبطحي، (٢/ ١٩٤)، الذريعة، لآغا بزرگ الطهراني، (١/ ٣٤)، رجال النجاشي، للنجاشي، (٦٣)، معجم رجال الحديث، للخوئي، (٦/ ١٥٤)، أعيان الشيعة، لمحسن الأمين، (٥/ ٣٢٠).

وبعضهم افترض أن إنسانًا ولد وغاب ولا يعرف مكانه، وسيظهر لاحقًا في آخر الزمان، وهو المهدي المنتظر القائم، مع أنه لم يولد ولم ير النور.

واكتشفت أن تاريخ الشيعة هو عبارة عن توالد وتكاثر يشبه انشطار الذرّة من كثرة الفرق والأحزاب، فكلما مات إمام من أئمة أهل البيت ‡ افترق أنصاره إلى مجموعات ومذاهب كثيرة، فقائل يقول: إنه لم يمت، بل غاب، وإنه هو المهدي المنتظر وهو القائم، وقائل يقول: إن ابن الإمام الميت هو الإمام من بعده، حتى لو لم يكن له ولد، ويجب الاعتقاد بأن له ولدًا لكيلا تخلو الأرض من حجّة، ويدعي بعضهم أنه رأى له ولدًا قبل موته وقد غيبه عن الناس لكي لا يقتله أعداؤه؛ لأنهم يعلمون أنه المهدي المنتظر، فسيقتلونه.

وبعض أصحاب الأئمة يجعلون أنفسهم سفراء، ويدعون أنهم على صلة بالإمام المعصوم الذي غاب، وأنهم نوابه وحين يأذن الله بخروجه سيعلمهم بذلك لتجميع الأنصار، ومن ثم سيكون الظهور الكبير للإمام بعد الغيبة الكبرى، ويجب أن تسلم الأموال

للنائب أو السفير كي يوصلها بدوره إلى الإمام الذي سيتقوى بهذه الأموال للتجهيز للظهور، ونشأ من ذلك أن فرقًا لم تكن موجودة من قبل ولدت فرقًا وتولد منها فرق.

وكنت أتساءل: لم لا يُتابعَ الحاكم السفير أو النائب ليعرف من خلاله مكان الإمام، ولا أدري لم لا يخاف السفير من الحاكم ويخافه الإمام؟!

وأدخلني الكتاب في دوامة من التشكيك في عقيدتي الاثني عشرية بصورة تمنيت معها أنني لم أطلع هذا الاطلاع، ولم أقرأ بهذا التوسع، ذلك لأن فرقتي هي إحدى فرق هذا الكم الهائل من الفرق التي تنشأ بعد موت كل إمام من أئمة أهل البيت ‡ ، فالفرقة التي أنتمي إليها ما هي إلا فرقة واحدة من هذه الفرق التي قال عنها مؤلف الكتاب: إنها بلغت المائة فرقة، منهم من تبنى القول بإمام واحد ووقف عليه، وبعضهم قال بإمامين، وبعضهم قال بثلاثة وأكثر، إلى أن وصلوا إلى أكثر من عشرين إمامًا، فلو سميت كل فرقة بعدد الأئمة الذين تعتقد بهم - كحال الاثني عشرية - لسميت الفرقة التي تقول بإمام واحد بالأحادية، والأخرى بالثنائية،

وكذلك الثلاثية والرباعية والخماسية والسداسية والسباعية وصولاً إلى الإحدى عشرية والثلاث عشرية والأربع عشرية إلى الفرقة الأربع والعشرينية.

فما الذي يميز الفرقة الاثني عشرية عن باقي الفرق لتكون نظرية المهدي عندها هي النظرية الصائبة؟!

وأخذت هذه الأفكار والشكوك تراودني وتؤرقني، وأصابني الإحباط الشديد واليأس، ولكنني كنت أسلي نفسي بقول الله ـ ـ : ((وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئًا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)) وحمدت ربي وشكرته على كل حال.

والآن لا بد لي من أن أكمل المشوار الذي ابتدأته لأعرف الحقيقة، ولم أكن لأهجع وأرتاح حتى أعرفها، ولا يمكنني الآن التوقف في منتصف الطريق.

وفيما يأتي سأنقل إليك – أخي القارئ – كيف كان حال الشيعة بعد وفاة كل إمام من أئمة أهل البيت ‡ ، والسيناريو الذي يتكرر

مرة بعد مرة لتتشكل الفرق وتنشأ المذاهب، ومن فرط قتامة الرؤية وعدم وضوح المنهج الذي يجب أن يقتدى به تزعزعت عندي فكرة المهدوية التي اعتنقها، أو قل: التي ورثتها، ومن جهة أخرى تزعزعت عندي فكرة الإمامة بصيغتها الاثني عشرية أيضا لما بيّن الكتاب التاريخي (فرق الشيعة) لي مع غيره من الكتب التي تخصصت في التحدث عن فرق الشيعة.

كتاب (فرق الشيعة) الذي ألفه النوبختي تحدث على الخصوص عن تكرار التبلبل الذي كان يحدث عند الشيعة في زمن الأئمة ‡ عند وفاة كل إمام، فقلت: كيف يكون الأئمة قد نص على أسمائهم منذ زمن الرسول ﷺ كما تروي أحاديثنا، ثم نجد أن معاصريهم لا يعرفون أسماءهم وأسماء خلفائهم ومن يأتي بعد من، ومن يكون الإمام اللاحق حين يتوفى الإمام السابق؟!

وتكرس هذا الخلاف بعد كل وفاة لإمام، وضرب التفرق رقمًا قياسيًا جديدًا لم يسجل من قبل بعد وفاة الإمام الحسن العسكري عليه وعلى آبائه الصلاة والسلام، فقد تفرق الشيعة بعده إلى أربع

عشرة فرقة ذكرها مؤلف الكتاب كلها، وذكر كيف أن كل فرقة من هذه الفرق افترضت وتبنت ما افترضته من فلسفة لوجود إمام ثاني عشر بعد الإمام الحسن العسكري × ، فقلت: كيف لي أن أجزم بأن النظرية التي تبناها مذهبي هي النظرية الصحيحة من بين كل تلك النظريات؟! فكلها سجالات بين متكلمين لا يستندون إلى القرآن ولا إلى الأحاديث الصحيحة، وكلما تناظروا ولم يتوصلوا إلى حل - وهذا شيء بدهي - حين لا يتوحد مرجع المتناظرين - تنحى كل منهم عن الآخر، واختلق لنفسه مذهبًا وجزم بصحته وتعصب له، حتى وصل ببعضهم الحال إلى أن سفكوا دماء بعض.

فأنصح كل شيعي بقراءة كتاب (فرق الشيعة) للنوبختي، فهو كتاب مهم جدًا لكل من يريد أن يتعرف على تاريخ مذهبه وكيفية نشأته، فكاتبه شيعي اثنا عشري، وهو مرجع عند الطائفة، والأصل في رواية العالِم لتاريخ مثالب طائفته أن تكون روايته صحيحة.

وسنتنقل بين أسطر الكتاب لنطلع على تاريخ مذهبنا، ولكن - كما قلت - لا تغني هذه الشذرات منه عن قراءته كاملا لتكتمل

الفائدة، فقد ابتدأ بعرض تبلور نظرية الغيبة من أول يوم نشأ فيها مذهب الشيعة بحالته البدائية، وهو أول مذهب قال بها، وهو - حسب علمي - آخرها، وهذا ما شكل لي صدمة كبيرة نزلت علي كالصاعقة فارتعدت منها فرائصي واقشعر منها جلدي.



أول مذهب شيعي قـال بـالغيبة

إن علي بن أبي طالب هـو أول مهـدي غائـب عنـد الـشيعة، وأتبـاع هذا المذهب هم الشيعة (السبئية).

فيا الله! ما هذا؟ ماذا أقـرأ؟ أعـليٌّ مهـدي منتظـر؟! وبعـد أن يقتـل تصبح موتته غيبة !، ويجب انتظاره؟!

يذكر النوبختي أنه لما قتل عـلي × افترقـت الـشيعة التـي ثبتـت على إمامته ورأت أنها فـرض مـن اللهﻷ ورسـوله ﷺ، فـصاروا فرقًـا ثلاثًـا: فرقـة مـنهم قالـت: إن عليًـا لم يقتـل ولم يمـت، ولا يقتـل ولا يموت حتى يسوق العرب بعصاه ويمـلأ الأرض قـسطًا وعـدلاً كـما ملئت ظلمًا وجورًا.

وهي أول فرقة في الإسلام بعد النبي ﷺ قالـت بـالوقف مـن هـذه الأمـة، وأول مـن قـال منهـا بـالغلو، وهـذه الفرقـة تـسمى (الـسبئية) أصحاب عبد الله بن سبأ، وكان ممن أظهر الطعن على أبي بكر وعمـر وعثمان والصحابة[1].

---

(١) فرق الشيعة، (٢١-٢٢).

فتصور - يا أخي - أن علي بن أبي طالب × هو المهدي المنتظر، وهو الغائب، وسيعود بعد موته، فهل تعجب من هذا يا أخي العزيز؟! أرجوك لا تعجب، فهذه هي البداية فقط.

مهدي آخر غائب، فهل سيظهر؟

ومحمد بن الحنفية مهدي منتظر غائب أيضًا، وأتباع هذا المذهب هم الشيعة (الكربية).

فقد ذكر النوبختي أن فرقة قالت: إن محمد بن الحنفية هو المهدي، سمّاه علي × مهديًا، ولم يمت ولا يموت، ولا يجوز عليه ذلك؛ لكنه غاب ولا يدرى أين هو، وسيرجع ويملك الأرض، ولا إمام بعد غيبته إلى رجوعه، وهؤلاء أصحاب ابن كرب، ويسمون (الكربية)[1].

وقالت فرقة أخرى: إن محمد بن الحنفية مهدي غائب، ولكن بنظرية أخرى، وأتباع هذا المذهب هم الشيعة (الكيسانية).

فقد ذكر النوبختي أن فرقة قالت: إن محمد بن الحنفية حي لم يمت، وإنه مقيم بجبال رضوى بين مكة والمدينة تغدوا الآرام -

---

(١) فرق الشيعة (٢٧-٢٨).

الغزلان - عليه وتروح، فيشرب من ألبانها ويأكل من لحومها، وعن يمينه أسد وعن يساره أسد يحفظانه إلى أوان خروجه ومجيء قيامه.

وقال بعضهم: عن يمينه أسد وعن يساره نمر، وهو عندهم الإمام المنتظر الذي بشر به النبي ﷺ أنه يملأ الأرض عدلاً وقسطًا.

وقال شاعرهم في إمامهم الغائب:

يا شِعب رضوى ما لمن بك لا يرى

حتى متى تُحمى وأنت قريب

يا ابن الوصي ويا سميّ محمد

وكنيّه نفسي عليك تذوب

لو غبت عنا عمر نوحٍ أيقنت

منا النفوس بأنه سيؤوب[1]

وهناك مهدي آخر:

وهو ابنه عبد الله بن محمد بن الحنفية، وأتباع هذا المذهب هم الشيعة (البيانية).

---

(١) فرق الشيعة، (٢٩).

يقول النوبختي: فرقة قالت: إن الإمام (أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وليّ الخلق، ويرجع فيقوم بأمور الناس ويملك الأرض، ولا وصي بعده، وغلوا فيه، وهم البيانية أصحاب بيان النهدي[١].

وهناك مهدي آخر:

وهو عبد الله بن معاوية، مهدي منتظر غائب آخر، مع أنه ليس من أهل البيت، ولكنه من أصحاب أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية.

فقالت هذه الفئة من الشيعة بغيبة مهديها هذا بعد موته ووجوب انتظاره.

فيذكر النوبختي أن فرقة قالت: إن عبد الله بن معاوية هو القائم المهدي الذي بشر به النبي ﷺ، وإنه يملك الأرض ويملؤها قسطًا وعدلاً بعدما ملئت ظلمًا وجورًا، ثم يسلمها عند وفاته إلى رجل من بني هاشم من ولد علي بن أبي طالب × ، فيموت حينئذ[٢].

(١) فرق الشيعة، (٣٣-٣٤).

(٢) فرق الشيعة، (٣٥).

وهناك مهدي آخر:

وهو أبو مسلم الخراساني، صار في فترة من فترات التاريخ مهديًا منتظرًا غائبًا أيضًا؛ لأنه بالغ في قتل بني أمية، وهو الركيزة التي قامت عليها دولة بني العباس التي تبنت في أول أيامها التشيع لأهل البيت، ولما تحولت الحركة إلى دولة تخلت عن التشيع وبقي عليه الشيعة وأصروا على أن أبا مسلم هو المهدي المنتظر، وأنه غاب ولم يقتل، وتسمى هذه الفرقة من الشيعة (الخرمدينية أو الخرمية)، نسبة إلى كلمة (خرم)، وهي كلمة فارسية، ومعناها: الشيء المستلذ المستطاب الذي ترتاح له النفس، وهو من باب الدعاية لمذهبهم الذي هو رفع التكاليف وتسليط الناس على ارتكاب الشهوات.

فهذه الفرقة تقول بغيبة مهديها أبي مسلم بعد أن قتله العباسيون ووجوب انتظاره.

وفرقة منهم يسمون (الأبامسلمية) أصحاب (أبي مسلم) قالوا بإمامته، وادعوا أنه حي لم يمت، وقالوا بالإباحات وترك جميع الفرائض، وجعلوا الإيمان المعرفة بإمامهم فقط، فسموا (الخرمدينية) وإلى أصلهم رجعت الخرمية[1].

(١) فرق الشيعة، (٤٧).

وهناك مهدي آخر:

وهو مهدي منتظر من نسل الحسن، وهو السيد محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، مهدي منتظر غائبٌ أيضًا.

ففرقة منها قالت بإمامة محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الخارج بالمدينة المقتول بها، وزعموا أنه القائم، وأنه الإمام المهدي، وأنه لم يقتل، وقالوا: إنه حي لم يمت مقيم بجبل يقال له (العلمية)، وهو الجبل الذي في طريق مكة ونجد الحاجز عن يسار الطريق وأنت ذاهب إلى مكة، وهو الجبل الكبير، فهو - عندهم - مقيم فيه حتى يخرج، لأن رسول الله ﷺ قال: القائم المهدي اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي[1].

وهناك مهدي آخر:

فجعفر الصادق مهدي منتظر غائب أيضًا، عند فرقة منها، وهذه الفرقة تسمى الشيعة (الناووسية).

(١) فرق الشيعة، (٦٢).

حيث قالت: إن جعفر بن محمد حي لم يمت، ولا يموت حتى يظهر ويلي أمر الناس، وإنه هو المهدي، وزعموا أنهم رووا عنه أنه قال: إن رأيتم رأسي قد أهوى عليكم من جبل فلا تصدقوه، فإنني أنا صاحبكم. وأنه قال لهم: إن جاءكم من يخبركم عني أنه مرّضني وغسلني وكفنني فلا تصدقوه، فإني صاحبكم صاحب السيف. وهذه الفرقة تسمى الناووسية[1].

وهناك مهدي آخر:

وهو المهدي المنتظر الغائب إسماعيل بن جعفر الصادق، وأصحاب هذا المذهب هم الشيعة (الإسماعيلية).

فهذه الفرقة زعمت أن الإمام بعد جعفر بن محمد ابنه إسماعيل بن جعفر، وأنكرت موت إسماعيل في حياة أبيه، وقالوا: كان ذلك على جهة التلبيس من أبيه على الناس؛ لأنه خاف فغيبه عنهم، وزعموا أن إسماعيل لا يموت حتى يملك الأرض ويقوم بأمر الناس، وأنه هو القائم؛ لأن أباه أشار إليه بالإمامة بعده وقلدهم

(١) فرق الشيعة، (٦٧).

ذلك له، وأخبرهم أنه صاحبه، والإمام لا يقول إلا الحق، فلما ظهر موته علمنا أنه صدق، وأنه القائم، وأنه لم يمت، وهذه الفرقة هي الإسماعيلية[١].

وهناك مهدي آخر:

وهو المهدي المنتظر محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق وأتباع هذا المذهب هم الشيعة (القرامطة).

وإنما سموا بهذا برئيس لهم من أهل السواد من الأنباط كان يلقب (قرمطويه)، وقد كانوا في الأصل على مقالة الشيعة (المباركية) ثم خالفوهم فقالوا: لا يكون بعد محمد ﷺ إلا سبعة أئمة علي بن أبي طالب وهو إمام رسول، والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد ومحمد بن إسماعيل، وهو الإمام القائم المهدي، وهو رسول، وزعموا أن النبي ﷺ انقطعت عنه الرسالة في حياته في اليوم الذي أُمر فيه بنصب على بن أبي طالب × للناس بغدير خم، فصارت الرسالة في ذلك اليوم في علي بن أبي طالب بأمر

(١) فرق الشيعة، (٦٧-٦٨).

الله ﷻ، وأن النبي ﷺ بعد ذلك كان مأمومًا لعلي محجوبًا به، فلما مضى علي × صارت الإمامة في الحسن، ثم صارت من الحسن في الحسين، ثم في علي بن الحسين، ثم في محمد بن علي، ثم كانت في جعفر بن محمد، ثم انقطعت عن جعفر في حياته فصارت في إسماعيل بن جعفر، كما انقطعت الرسالة عن محمد ﷺ في حياته، ثم إن الله ﷻ بدا له في إمامة جعفر وإسماعيل فصيرها في محمد بن إسماعيل، واعتدوا في ذلك بخبر رووه عن جعفر بن محمد إ أنه قال: ما رأيت بدا لله ﷻ إلا في إسماعيل. وزعموا أن محمد بن إسماعيل حي لم يمت، وأنه في بلاد الروم، وأنه القائم المهدي، ومعنى القائم عندهم أنه يبعث بالرسالة وبشريعة جديدة ينسخ بها شريعة محمد ﷺ، وأن محمد بن إسماعيل من أولي العزم، وأولوا العزم عندهم سبعة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ وعليهم وعلي × ومحمد بن إسماعيل[1].

(١) فرق الشيعة، (٧٢).

وهناك مهدي آخر:

وهو الإمام موسى الكاظم × ، فقد صار مهديًا منتظرًا غائبًا أيضًا، وأتباع هذه الفرقة هم الشيعة (الواقفة).

فقالت هذه الفرقة: إن موسى بن جعفر لم يمت، وإنه حي، ولا يموت حتى يملك شرق الأرض وغربها ويملأها كلها عدلاً كما ملئت جورًا، وإنه القائم المهدي، وزعموا أنه خرج من الحبس ولم يره أحد نهارًا، ولم يعلم به السلطان وأصحابه، وادعوا موته، وموهوا على الناس وكذبوا، وأنه غاب عن الناس واختفى، ورووا في ذلك روايات عن أبيه جعفر بن محمد × أنه قال: هو القائم المهدي، فإن يدهده رأسه عليكم من جبل فلا تصدقوا؛ فإنه القائم. وقال بعضهم: إنه القائم، وقد مات، ولا تكون الإمامة لغيره حتى يرجع فيقوم ويظهر، وزعموا أنه قد رجع بعد موته، إلا أنه مختفٍ في موضع من المواضع حتى يأمر وينهى، وأن أصحابه يلقونه ويرونه، واعتدوا في ذلك بروايات عن أبيه أنه قال: سمي القائم قائمًا لأنه يقوم بعدما يموت.

وأنكر بعضهم القول بقتله وقالوا: مات ورفعه الله إليه وأنه يرده عند قيامه فسموا هؤلاء جميعا بالواقفة لوقوفهم على موسى بن جعفر[١].

وهناك مهدي آخر:

وهو موسى الكاظم × ، فهو مهدي منتظر غائب عند فرقة أخرى، ولكن بنظرية فلسفية أخرى، وأصحاب هذا المذهب هم الشيعة (البشرية)، وصاحب هذه النظرية سمى نفسه خليفة الإمام القائم لكي يستحوذ على الأموال التي تعطى له بهذه الذريعة، وجعل الخلافة في ابنه، لأن الداخل من المال كبير، ولا يمكن التفريط فيه ليذهب إلى عائلة أخرى.

ففرقة منهم يقال لها: البشرية أصحاب محمد بن بشير مولى بني أسد من أهل الكوفة قالت: إن موسى بن جعفر لم يمت ولم يحبس، وإنه حي غائب، وإنه القائم المهدي، وإنه في وقت غيبته استخلف على الأمر محمد بن بشير وجعله وصيه وأعطاه خاتمه وعلمه جميع ما يحتاج إليه رعيته وفوض إليه أموره وأقامه مقام نفسه، فمحمد بن

---

(١) فرق الشيعة، (٨٠-٨١).

بشير الإمام بعده، وأن محمد بن بشير لما توفي أوصى إلى ابنه سميع بن محمد بن بشير، فهو الإمام، ومن أوصى إليه سميع فهو الإمام المفترض الطاعة وعلى الأمة إلى وقت خروج موسى بن جعفر وظهوره، فما يلزم الناس من حقوقه في أموالهم وغير ذلك مما يتقربون به إلى الله ﷻ فالفرض عليهم أداؤه إلى هؤلاء إلى قيام القائم[1].

فسميع هو الخليفة، وبعده من ينصبه سميع، ولا أدري من سينصب سميع بعده غير أحد أبنائه! وهذا ما كان بالفعل.

وهناك مهدي آخر:

وهو السيد محمد بن علي الهادي أخو الإمام الحسن العسكري × ، صار مهديًا منتظرًا غائبًا أيضًا، ويجب انتظاره إلى أن يخرج.

فلما توفي علي الهادي × قالت فرقة من أصحابه بإمامة ابنه محمد، وقد كان توفي في حياة أبيه بسر من رأى، وزعموا أنه حي لم يمت، واعتدوا في ذلك بأن أباه أشار إليه، وأعلمهم أنه الإمام من بعده، والإمام لا يجوز عليه الكذب، ولا يجوز البداء فيه، فهو – وإن

(١) فرق الشيعة، (٨٣).

كانت ظهرت وفاته – لم يمت في الحقيقة، ولكن أباه خاف عليه فغيبه، وهو القائم المهدي، وقالوا فيه بمثل مقالة أصحاب إسماعيل بن جعفر[1].

وهناك مهدي آخر:

وهو الإمام الحسن العسكري × ، مهدي منتظر غائب أيضًا، وأصحاب هذا المذهب هم الشيعة (العسكرية)، وهم القائلون بأن الحسن العسكري هو المهدي حين لم يجدوا له ولدًا، وحين توفي قالوا: إنه لم يمت، بل غاب ويجب انتظاره.

يقول النوبختي: ففرقة منها قالت إن الحسن العسكري حي لم يمت، وإنما غاب، وهو القائم، ولا يجوز أن يموت، ولا ولد له ظاهر؛ لأن الأرض لا تخلوا من إمام، وقد ثبتت إمامته، والرواية قائمة أن للقائم غيبتين، فهذه الغيبة – يعني وفاته – إحداهما، وسيظهر ويعرف، ثم يغيب غيبة أخرى، وقالوا فيه ببعض مقالة الواقفة على موسى بن جعفر، وإذا قيل لهذه الفرقة: ما الفرق بينكم وبين الواقفة؟ قالوا: إن الواقفة أخطأت في الوقوف على موسى لما

(١) فرق الشيعة، (٩٤).

ظهرت وفاته؛ لأنه توفى عن خلف قائم أوصى إليه، وهو الرضا × ، وخلف غيره بضعة عشر ذكرًا، وكل إمام ظهرت وفاته كما ظهرت وفاة آبائه وله خلف ظاهر معروف فهو ميت لا محالة، وإنما القائم المهدي الذي يجوز الوقوف على حياته من ظهرت له وفاته عن غير خلف، فيضطر شيعته إلى الوقوف عليه إلى أن يظهر؛ لأنه لا يجوز موت إمام بلا خلف، إذن فقد صح أنه غاب[1].

وهذا من أشد الأدلة وضوحًا على أنَّه لا ولد للإمام الحسن العسكري إلى درجة أن فرقة كاملة تبنت مذهبًا جديدًا وهو القول بضرورة مهدية العسكري؛ لأنه لم ينجب ولم يعرف أحد من الشيعة أن له ولدًا.

وقالت فرق أخرى أقوالا كثيرة بعد وفاة الحسن العسكري ذكرها النوبختي في كتابه، ولكنني اقتصرت على نقل قول واحدٍ تحريًا للاختصار.

بعد هذه الدوامة التي سقت لك بعضًا من أشكال زوابعها التنظيرية والفلسفية التي اختلقها جهابذة علم الكلام، واقتصرت

(١) فرق الشيعة، (٩٦).

هنا على نقل بعض فرقها ابتعادا عن الإطالة، وإلا فالكتاب مليء بفرق الشيعة التي كلما مات إمام من الأئمة وقفت عليه وقالت بمهديته وغيبته وضرورة انتظاره، بعد كل هذا جاء دور الشيعة الاثني عشرية بعد وفاة الحسن العسكري × ليفترضوا لأنفسهم مهديًا منتظرًا غائبًا من نسله سيرًا على سنة أسلافهم من فرق الشيعة الأخرى، مع أن المؤلف يقر بعدم وجود ولد له، لكنها النظريات الكلامية والفلسفية، وما أدراك ما النظريات الفلسفية؟! إنها شرٌ عظيم فتح على بعض أبناء هذه الأمة أبواب جهنم، ولو اقتصر هؤلاء القوم على قول الله وقول رسوله لما جرفهم الشيطان إلى هذه المذاهب التي ما أنزل الله بها من سلطان.

وانظر – أيها القارئ العاقل – فيما كتب النوبختي في تاريخه هذا بعد وفاة الإمام الحسن العسكري × لتعرف مدى تلاعب الشيطان والأهواء بمعتقدات بعض المسلمين حتى جرهم إلى الزندقة والبعد عن دين الله.

يقول: وولد الحسن العسكري × في شهر ربيع الآخر سنة (٢٣٢هـ)، وتوفي بسر من رأى يوم الجمعة لثمان ليال خلون من

ربيع الأول سنة (٢٦٠هـ) وهو ابن ثمان وعشرين سنة وصلى عليه أبو عيسى بن المتوكل، وكانت إمامته خمس سنين وثمانية أشهر وخمسة أيام، وتوفي ولم يُرَ له أثر ولم يُعرف له ولدٌ ظاهر، فاقتسم ما ظهر من ميراثه أخوه جعفر وأمه، وهي أم ولد يقال لها: عسفان ثم سماها أبو الحسن حديثًا[1].

قلت: لا يوجد أدنى لبس في كلام النوبختي الأخير بأن العسكري × لم يكن له ولد واقتسم إرثه أخوه وأمه، ولو كان له ولد لحجبهم عن إرثه، ولتورعوا عن أخذ الميراث بغير وجه حق، وأول عدل يجب أن يعمله المهدي لو كان موجودًا على ظهر الأرض هو إقامة العدل في بيت أبيه المعصوم قبل أن يملأ الأرض قسطًا وعدلاً.

ومع هذا الإقرار منه بعدم وجود ولد للإمام الحسن العسكري وأنه لم يخلف ولدًا، وورثه أخوه وأمه، مع ذلك يقول بإمامة محمد بن الحسن العسكري المهدي المفترض غير الموجود، ويقول بمهديته وغيبته ووجوب انتظاره، والعجب أنه يقول بعدم وجود هذا الإمام

(١) فرق الشيعة (ص:٩٥-٩٦).

في كتابه (فرق الشيعة) ثم يستدرك ذلك في كتاب آخر اسمه (التنبيه) فيقول: (إن الشيعة قد علموا بوجود ابن الحسن بالاستدلال، كما عرفوا الله والنبي وأمور الدين كلها بالاستدلال)[١] ولا أدري أي استدلال يخلق من العدم ولدًا، وأي قياس هذا الذي يستعمله النوبختي ليقيس معرفة المسلمين بوجود الله ـ الذي يعرفه كل البشر مسلمهم وكافرهم بالفطرة، ومعرفة وجود رسول الله ص الذي ذكره القرآن الكريم في محكم الآيات، وملأت سيرته الأحاديث الصحيحة وتواريخ العرب والعجم، ويريد به أن يثبت وجود إنسانٍ لم يوجد قط، وذلك بشهادة النوبختي نفسه، فأي استدلال هذا وأي تخريف؟! لقد استعصى هذا الأمر على فهمي وما زال، وقد حاولت جاهدًا بكل طاقتي العقلية أن أستوعب هذه الأحجية ولم أفلح في فهمها، وأنا هنا لا أدعي أنني من أذكياء البشر، ولكنني أتحدى كل أذكياء التاريخ وكل الأذكياء من مخلوقات الله العاقلة من جن وإنس وملائكة أن يفهموا هذه الأحجية التي ليس لها حل، فالأب توفي وليس له ولد، ولكنّ الاستدلال يجعل له ولدًا، إن هذا أمر لا يمكن فهمه بحال.

---

(١) إكمال الدين وإتمام النعمة للصدوق (ص:٩٢).

وفيما سيأتي سيخبرنا النوبختي نفسه كيف تبلورت الفكرة الاثني عشرية، ولِمَ يجب أن نفترض أن يكون للحسن العسكري ولدًا، إذ يقول: بعد وفاة الحسن العسكري × افترق أصحابه بعده أربع عشرة فرقة.[١]

ثم أسهب الكاتب في الكلام عن الفرق الأربع عشرة وعقائدها وفلسفة كل منها في التنظير للمذهب الذي تبنته، وهو كلام كثير لا أريد أن أنقله كله، ومن يريد الاطلاع عليه سيجده في الكتاب، وفحواه أن الأربع عشرة فرقة انقسمت - من حيث وجود ولد للعسكري وعدمه - على أقوال، فجزمت اثنا عشرة فرقة بانقطاع نسل الحسن العسكري، وكذّبوا كل من قال: إن للحسن ولدًا، وقالوا: لو كان له ولد لما خفي على العام والخاص، ولا على السلطان، خصوصًا أن الورثة قد اقتسموا الميراث.

وبعض هذه الفرق قالت بغيبة العسكري كما مر سابقًا، وبعضها وقف عليه وصاروا شيعة إحدى عشرية[٢].

---

(١) فرق الشيعة، (٩٦).

(٢) بعد موت العسكري عليه السلام قالت (١٢) فرقة من أصل (١٤) فرقة بعدم وجود ابن للحسن العسكري، وهذا يفيد بأن أكثر من (٨٥٪) من شيعة ذلك العصر يعلمون بعدم وجود ابن للإمام للحسن العسكري عليه السلام.

وقالت فرقة واحدة بولادة ابن للحسن العسكري بعد وفاته بثمانية أشهر، وقد أوصى بتسميته محمدًا، وكذّبوا كل من قال بولادة ابن للحسن في حياته، وقالوا: إنه أخفى زوجته الحبلى عن الأنظار حتى توفي، وأوّلوا خبرًا رووْه عن الإمام الرضا يقول: (ستبلون بالجنين في بطن أمه والرضيع)، واعتبروا هذا القول سندًا لمذهبهم، ولا أدري ما علاقة الرضيع والجنين الذي تحدث عنه الرضا × بابن للحسن العسكري لم يولد؟! هذا إذا سلمنا أن الرضا قال هذا بالفعل، فقول الرضا – إن صح – فيمكننا تركيبه على أي جنين وأي رضيع في أي عائلة، وأنا هنا لست بصدد مناقشة هذا، فكل هذه الأمور تبدو جليه البطلان لأول وهلة عند أي عاقل من بني آدم، ولكن لأسلط بعض الضوء على الغوغائية وعدم الانضباط في التفكير ولتبيين الكيفية التي كانت تتخذ فيها قرارات مصيرية سيتوارثها الجيل بعد الجيل وستكون دينًا مقدسًا لا يجوز أن تطاله يد النقد أو التساؤل، نعم هذا هو الجو الذي كان سائدًا، وهذه فقط عَيِّنة صغيرة من العقلية الجاهلة والمنحرفة المسيطرة على الجو آنذاك.

وقالت الفرقة الأخيرة – وهي التي تعنيني هنا؛ لأنها هي التي صاغت الفلسفة والنظرية التي كنت عليها وورثتها عن آبائي وأجدادي – قالت بأن للحسن العسكري ولدًا أنجب قبل وفاته بسنين، واستدلوا عليه بالقول، – وانظر إلى قولهم ما أقبحه وما أشنعه وما أغباه – حيث قالوا: كيف يكون (العسكري) إمامًا قد ثبتت إمامته ووصيته وجرت أموره، وهو مشهور عند الخاص والعام، ثم يتوفى ولا خلف له؟! فخلفه قائم وولد قبل وفاته بسنين، وقطعوا على إمامته بعد موت الحسن، وبأن اسمه محمد، وزعموا أنه مستور لا يُرى، وأنه خائف من عمه جعفر وغيره من أعدائه، وهذه الغيبة إحدى غيباته، وأنه هو الإمام القائم، وقد عُرف في حياة أبيه ونص عليه، ولا عقب لأبيه غيره، فهو الإمام لا شك فيه[1].

فانظر إلى تعبير ومقالة الفرقة التي قالت بوجود ولد للإمام الحسن العسكري، وانظر كم يطابق ذلك منطق الفرق السابقة وبنفس الفلسفة، فكلها استدلالات عقلية من قبيل (كيف يكون (العسكري) إمامًا قد ثبتت إمامته ووصيته وجرت أموره، وهو

(١) فرق الشيعة، (١٠٢-١٠٣).

مشهور عند الخاص والعام، ثم يتوفى ولا خلف له؟! فيجب أن يكون له ولد!!

وبُني على هذا المعتقد الفلسفي المستنتج استنتاجا عقليا بلا دليل نقلي معتبر لا من قرآن ولا من سنة دين طويل عريض ذو أحكام وشرع وفقه وأصول وفروع تختلف عن دين المسلمين بناءً على نظرية صاغها متكلمون وفلاسفة وتوارثتها الأجيال حتى وصلت إلى هذا الجيل أفكار وخيالات صاغها أناس لم يكونوا من أهل البيت ولم يكونوا من أصحاب النبي ﷺ، بل صاغتها عقول متخلفة آذت أهل البيت ‡ قبل غيرهم من كثرة الافتراءات وتقولت أقوالاً لم يقولوها، وجئنا اليوم بدورنا فوجدنا إفراز هذا الفكر العقيم الذي وصل إلينا من تلك الحقب الغابرة المتخلفة من تاريخ التشرذم ورواج بضاعة المتكلمين وأهل الفلسفة، فأخذنا هذا الفكر وتلقيناه مغلفًا محفوظًا في قوارير فتحناها وتناولنا محتوياتها من دون التأكد من تاريخ انتهاء صلاحيتها، وأحمد الله على أنني لن أورثها لأبنائي، ولن أضطرهم إلى أكل مواد مسمومة مضى على فساد محتوياتها قرون وقرون.

ولو تأملت فكرة المهدوية وصيغها المتعددة في التراث الشيعي الزاخر فستجد أن هذه الصيغة قائمة على أمر مركزي واحد في جميع هذه الفرق وعلى مر العصور، وهي حتمية وجود إمام معصوم غائب يجب انتظاره، ولو لاحظت أن أول من قال بهذا القول وأول من ابتدعه هو عبد الله بن سبأ بحسب هذا الكتاب الشيعي المعتبر والذي قال في علي بن أبي طالب × هذا القول، ثم تلاقفته فرق الشيعة المختلفة وفصلته كل فرقة على مقاسها، ففرقة اختارت العدد رقم واحد، وفرقة اختارت رقم اثنين وصولاً إلى الفرقة الإحدى عشرية القائلة بمهدية الحسن العسكري، إلى أن وصل الأمر إلى الشيعة الاثني عشرية التي فصل لها المتكلمون نظرية فلسفية جديدة على مقاسها تتناسب مع عدد الأئمة الذين يريدون تبني فكرة إمامتهم ليكونوا أئمة لهم، واختاروا العدد (اثنا عشر) ليكون خاتمة أمرهم والوقوف على الإمام الثاني عشر والقول بغيبته وانتظاره، فهل تقبل - يا أيها الشيعي العاقل - أن تأخذ دينك من عبد الله بن سبأ الذي ابتدع الأمر من أول يوم قال فيه بمهدية علي × وعصمته وغيبته؟! أم تأخذه من كلام ربك وسنة نبيك ص ؟!

ولا تظن – يا أخي – أن الاثني عشرية هم الفرقة الوحيدة من فرق الشيعة الذين افترضوا ولدًا لإمام مات ولم يخلف ولدًا، فقد سبقهم إلى ذلك فرقة تفرعت من الشيعة (الفطحية)، وهم الذين قالوا بإمامة عبد الله بن جعفر الصادق (عبد الله الأفطح)، فحين توفى عبد الله افترضوا له ولدا اسمه محمد، وقالوا: إنه غاب عن الأنظار واختفى، وسيظهر في آخر الزمان[1]، وهم أول من قال بالدليل العقلي على ولادة الإمام، وليس الدليل النقلي التاريخي، ولو جعلنا تفاضلا جدليا بين هذه الفرقة من الشيعة (الفطحية) والفرقة الاثني عشرية لتفوقت عليهم الفرقة الفطحية باسم مهديها الافتراضي، ذلك لأن الحديث المتفق عليه عند السنة والشيعة هو أن المهدي المنتظر يواطئ اسمه اسم النبي واسم أبيه اسم أبي النبي، وهو (محمد بن عبد الله)، وهذا ما تحقق في هذه الفرقة، فمهديها اسمه (محمد) واسم أبيه (عبد الله) ولم يتحقق هذا في الفرقة الاثني عشرية، لكون مهديها الافتراضي يحمل اسم (محمد بن الحسن).

(١) الإمامة والتبصرة من الحيرة (ص:١٩٩)، إكمال الدين وتمام النعمة (ص:١٣٧)، الغيبة (ص:١٨).

وصية غالية

أوصيك كما أوصاني ذلك الشيخ الذي أتمنى له الهداية من كل قلبي، الذي قال لي اقرأ ولا تكتف بما يلقى إليك من معلومات سطحية. فاقرأ وتعمق، وستعرف أنك مخدوع، وكل ما في الأمر أنك ورثت هذا الدين ولم يكن لك يد في اختياره، ولو كان لك الخيار لما تبنيت أفكارًا بناها يهودي أظهر الإسلام وأبطن عقيدته اليهودية السابقة ليخرب نسيج الإسلام من الداخل بعد أن عجز اليهود عن تخريبه من الخارج، وقد تجد من علماء الشيعة من ينفي وجود عبد الله بن سبأ بعد أن ورطت به الفرقة الاثني عشرية على الخصوص، ولوضوح العلاقة بينه وبين نشوء كل المذاهب الشيعية، ولكن هيهات هيهات أن تغطى الشمس بالغربال، فالكتب الشيعية مليئة بتوثيق وجوده وعلاقة أقواله الأولى بعقائد الشيعة الحالية التي تبنتها فرق الشيعة كلها، وأخصها الفرقة الاثنا عشرية، فهو أول من قال بالوصاية بعد النبي لعلي، وهذه من عقائد الشيعة، وأول من قال بعصمة علي، وهذه - أيضًا - من أفكاره التي زاد عليها الشيعة

عصمة جميع أئمتهم، وهو أول من قال برجوع علي على أنه هو المهدي، فتبنت الشيعة هذه الفكرة وفصلتها على مقاسها الإثني عشري، وأول من قال بأن عليًا يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن كيف يكون، حتى بلغ عليًا ذلك، وقيل: إنه أحرقه، وقيل: إنه نفاه إلى المدائن، ومع هذا ما زالت الشيعة على عقيدة عبد الله بن سبأ في هذا الغلو في علي × ، مع أنهم يروون في كتبهم أنه عاقبه على القول بذلك فيه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقد عافى الله جماعة المسلمين من هذه الآفة الفتاكة، فنهجوا لأنفسهم نهجًا سويًا مستقيمًا بني على كلام الله وما صح عن نبيه ﷺ، وهذا ما يجدر بالإنسان العاقل الفطن أن ينهجه.

والآن بعد أن عرفت - يا أيها الشيعي المتعلم العاقل - كل هذه التفاصيل عمَّا كان يدور من دوامات عصفت بالشيعة بواسطة أناس يقتاتون على الأفكار والنظريات لكي يتمددوا على حساب البسطاء في تلك العصور الغابرة، واتخذوا من أهل البيت ‡ والمتاجرة بهم وبأسمائهم وسيلة لاستجلاب الأموال الطائلة بدون جهد وبغير

وجه حق، فورثت هذا المذهب بغير إرادة منك، واتضح لك عدم صحته، وهو - لا شك - يتنافى مع ما تحمله من علم وعقل متنور في عصر توافر فيه العلم وسهل الحصول عليه في هذا الزمن، حتى أصبح الوصول إلى المكتبات الضخمة بضغطة على زر، بعد ذلك أما زلت تصدق هذه الخرافات البائدة التي يضحك عليها كل العقلاء؟! أتتشبث بهذه النظريات وتترك ما قال الله وقال رسوله من الأمور الواضحة في الدين وأنت على هذا المستوى من العلم والعقل؟! أترضى أن يتنعم الداخلون في دين الله أفواجًا من الغربيين والشرقيين بنعمة العقيدة الصحيحة، وأنت - يا أيها القديم في الإسلام، يا ابن المسلمين وحفيد المسلمين الأوائل - ما زلت تحمل على ظهرك وبدون تفكير ولا تمحيص نظريات بالية تتنافى مع كل شيء، فهي تتنافى مع القرآن، ومع السنة الطاهرة، ومع سيرة أهل البيت ‡ ، وتتنافى مع العقل والعلم الذين أظنك تحضى منهما بقدر وافر؟! فإلى أين يسار بك؟! أرجوك أن تنتبه قبل فوات الأوان، وإن لم تفكر في نفسك فكر في أبنائك والأجيال التي ستجني عليها بعدم اهتمامك.

أسأل الله أن يجلو عن بصرك وبصيرتك هذه الغشاوة التي كانت على عيني وأعين كثير من إخواني الشيعة الذين هداهم الله.

لقد كانت دوامة وزوبعة وهزّات عنيفة مررت بها بعد قراءة افتراضات وافتراءات في الدين على النبي وأهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام، فما هي العقيدة الصحيحة في المهدي التي يجب أن تكون عند كل مسلم يتحرى العقيدة الصحيحة ورضا الله ـ ؟

بعد قراءتي المتوسعة في هذا المجال أقول بصراحة: لقد عصفت بي الهموم من فرط ما أصابني من إحباط، وتبخرت الآمال بوجود إمام ثاني عشر غائب، وبعد أن اكتشفت أن نظرية الإمام الغائب لدينا كانت مجرد واحدة من الأقوال النظرية التي لا تقوم على دليل معتبر، حالها حال باقي النظريات التي يوافقني كل قارئ على بطلانها بالبديهة، ومنذ أول قول بمهدي غائب عند الشيعة – وهو علي بن أبي طالب × – يعلم كل عاقل أن علي × لم يغب ولن يرجع إلى الدنيا أبدًا، وكذلك كل من قيل فيهم بنفس ما قيل في علي × ، فلم يغيبوا ولن يرجعوا أبدًا، وإلا فستمتلئ الدنيا بهم إذا

رجعوا كلهم من بعد غيبتهم، خاصة أن النوبختي يقول: إن عدد الفرق التي تفرعت بعد موت كل إمام بلغت المائة فرقة، وكل فرقة لها إمام وقفت عليه، وهو مهديها المنتظر الغائب، وحين يموت يقولون غاب وسيرجع، فمن نصدق منهم ومن نكذب؟! فما هو الحل؟ وما هي العقيدة الصحيحة التي يجب أن يعتنقها المسلم الذي يتحرى رضا ربه؟

بعد طول البحث في كتب المسلمين التي تحدثت عن هذا الأمر وجدت ضالتي، ولا أستطيع سوق كل ما قرأت هنا لضخامة ما كتب في هذا الباب، ولكن صح عند الجميع – بمن فيهم الشيعة الاثنا عشرية – أن رجلاً من أهل البيت يواطئ اسمه اسم النبي ﷺ، واسم أبيه اسم أبي النبي ستحمل به أمه مثل البشر، وستلده كما يولد البشر، وسيكبر مثل البشر، وحين يكبر ويصير رجلا سيخرج ليملأ الأرض قسطًا وعدلاً بعدما ملئت ظلمًا وجورًا، وقد ورد هذا الأثر وغيره بألفاظ مختلفة لا يفهم منها إلا ما فهم المسلمون من أن هذا الرجل سيكون إمامًا عادلاً سيعم الخير في خلافته للأرض وللمؤمنين، وسيولد ويعيش ويموت كسائر البشر، ولا يلزم من

هـذه الآثـار والروايـات بحـال مـا ذهـب إليـه الـشيعة مـن اخـتلاق نظريات كثيرة كل واحدة منها أكثر شطحًا من أختها، فابتدأت هـذه الشطحات بإمامة إلهية يعين فيها الله الإمام، واحتاجت هذه النظريـة إلى نظريات أخرى مساندة فوُجدت نظرية العصمة، ثم البداء واتهام الله بالجهل حين يتنـاقض الـنص بالإمامـة مـع مـوت الإمـام في حيـاة أبيه، كما حدث في حالة اسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام، ثـم نظرية التوارث العمودي للإمامة ونظرية الغيبة، وتفرعت الغيبـة إلى فرعين: صغرى وكبرى، ولكـل نظريـة توابعهـا مـن النظريـات التـي تنصّب السفراء والنواب للإمام الغائـب، ثـم نظريـة أن الإمـام مـات وسـيعود، وتبعتهـا نظريـة الـولادة الافتراضـية للإمـام؛ لأن وجـود الإمـام ضرورة لبقـاء الأرض وعـدم هلاكهـا ونظريـات تتبعهـا نظريات، ثم لا تلبث هذه الأقوال حتى تصير مقدسـة وتحمـل نفـس ثقل الحديث الصحيح، أو ثقل الآيات من كتاب الله الكريم، مع أنها أقوال فلاسفة ومنظرين متكلمين.

والآن أحمد الله العظيم عـلى أني خرجـت مـن هـذه الفـوضى ومـن الاعتقاد بهذه الأقوال التي لم ينزل الله بها من سـلطان، وأنـا اليـوم في

راحة بال بعد صراع دام سنين رويت لك جزءًا صغيرًا من فصوله، وتركت فصولاً طويلة ليس هنا مكان بسطها، وربما يأتي يوم أتفرغ فيه لكتابتها إن رأيت أن في ذلك مصلحة للأخذ بأيدي التائهين والحيارى الذين لم أشك للحظة واحدة أنهم أناس أذكياء فطنون وما كتبت هذه السطور إلا لتبصيرهم والإيماء لهم من بعيد بخطورة ما هم عليه من عقائد جُعلت واختلقت من أجل ضرب أمتهم التي يحبونها، فحولتهم هذه العقائد المنحرفة من جنود للأمة إلى جنود ضد الأمة من حيث لا يشعرون.

والحمد لله فقد عوضني الله خير العوض، فلا أجمل من أن يعتقد الإنسان العقيدة الصحيحة التي تجعل القلب مطمئنًا سعيدًا يغمره برد الإيمان وقرة العين بعبادة الله كما يحب وكما أمر، وبفضل الله وتسديده وهدايته انضممت إلى عامة المسلمين باتخاذ الكتاب قائدًا والسنة رائدًا، وأسأل الله العلي العظيم أن أكون قد أفدت برواية هذا الفصل من قصتي من لا يزالون يعيشون في هذه الوهم ينتظرون من لم يعد يومًا ولن يعود حتى يدخل الجمل في سم الخياط.

إن كنت – يا أخي – ما زلت تنتظر.

فسأعود لأقول لك:

أي مهدي ستنتظر؟!

وكم مهديًا ستنتظر؟!

وكم تظن أنه سيظهر منهم؟!

وهل ظهر أحد ممن غابوا؟!

يا من تنتظر المهدي الغائب! كم من مهدٍ غاب ولم يعد، فهل تظن أن مهديك يختلف عنهم؟!

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين...

مصطفى حيدر أبو تراب
mustafa.abuturab@gmail.com
٢٠٠٨/٤/٢٨م

❖ ❖ ❖

كتب أنصح بقراءتها للاستزادة

- تطور الفكر السياسي الشيعي، لأحمد الكاتب.
- كتاب (فرق الشيعة) للنوبختي.
- الغيبة للطوسي.

❖ ❖ ❖

فهرس الموضوعات

❖ ❖ ❖